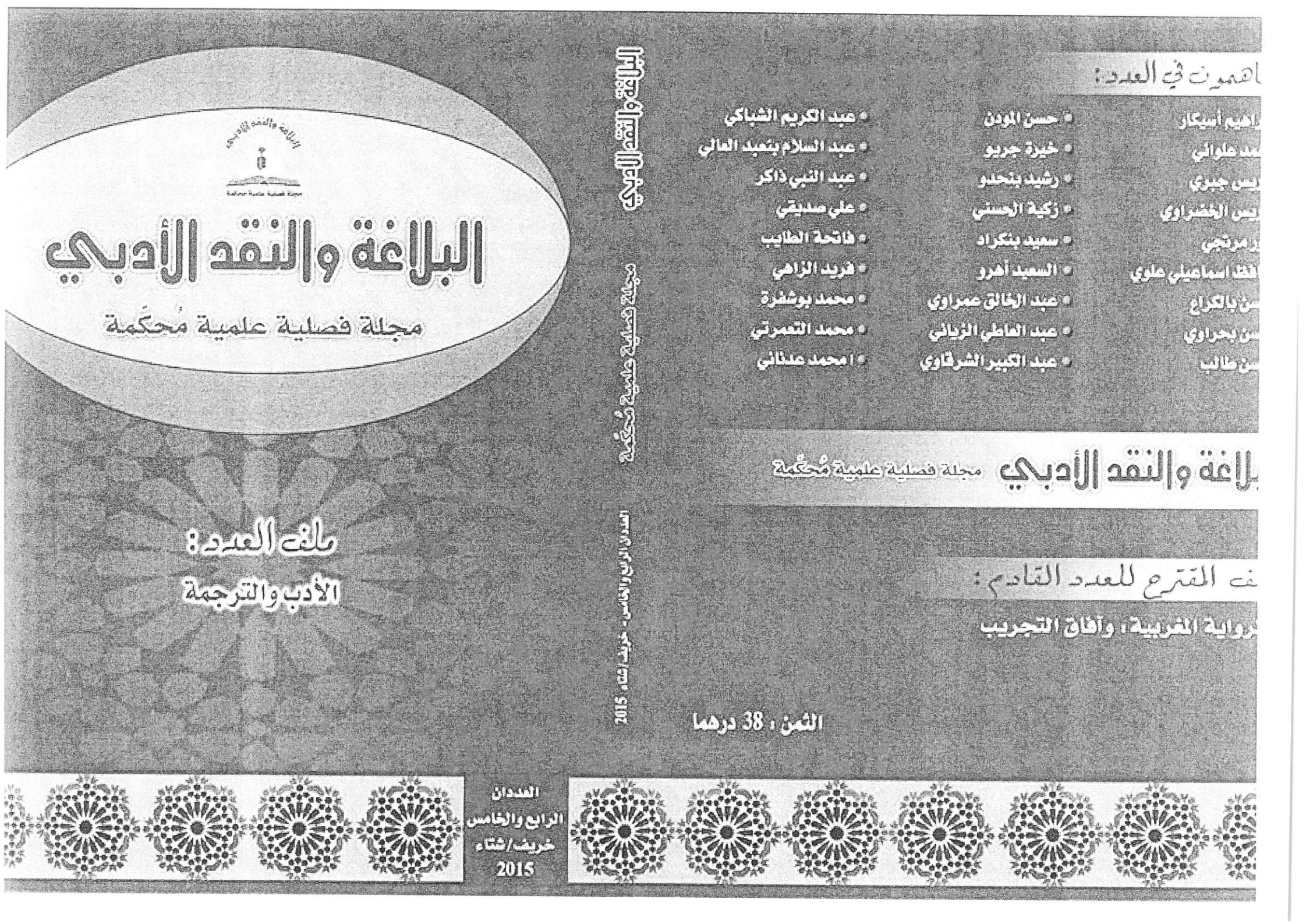
البلاغة والنقد الأدبي
مجلة فصلية علمية مُحكَمة
ملف العدد:
الأدب والترجمة
العددان
الرابع والخامس
خريف/شتاء
2015
البلاغة والنقد الأدبي
مجلة فصلية علمية مُحكَمة
العددان الرابع والخامس، خريف/شتاء 2015
اهمون في العدد:
راهيم أسيكار
سعيد علوائي
يس جبوري
يس الخضراوي
ر مرتجي
لطف اسماعيلي علوي
سن باكراع
سن بحراوي
سن طالب
• حسن المودن
• خيرة جريو
• رشيد بنحدو
• زكية الحسني
• سعيد بنكراد
• السعيد أهرو
• عبد الخالق عمراوي
• عبد الفاطي الزياني
• عبد الكبير الشرقاوي
• عبد الكريم الشباكي
• عبد السلام بنعبد العالي
• عبد النبي ذاكر
• علي صديقي
• فاتحة الطايب
• فريد الزاهي
• محمد بوشفرة
• محمد التمسرتي
• امحمد عدناني
البلاغة والنقد الأدبي مجلة فصلية علمية مُحكَمة
ف المقترح للعدد القادم:
روايةالمغربية: وآفاق التجريب
الثمن: 38 درهما

البلاغة والنقد الأدبي

مجلة فصلية علمية محكمة

المدير المسؤول

د. محمد عدناني

هيئة التحرير

د. إدريس الخضراوي — د. فريد أمعضشو — د. عبد الخالق عمراوي

د. عبد العاطي الزياني — ذ. عبد العالي العامري — د. مصطفى الغرافي

الهيئة الاستشارية

د. أحمد بوحسن — د. حافظ إسماعيلي علوي — د. سعيد يقطين

د. سعيد جبار — د. عبد الفتاح لحجمري — د. عبد الله الغذامي

د. عبد المجيد نوسي — د. عبد العلي الودغيري — د. عبد النبي ذاكر

د. عبد الغني أبو العزم — د. مبارك حنون — د. محمد بلبول

د. محمد الظريف — د. محمد الأمين المؤدب — د. منذر عياشي

طبع هذا العدد بدعم من وزارة الثقافة

البلاغة والنقد الأدبي - مجلة فصلية علمية محكمة

عنوان المراسلة: صندوق البريد رقم 89. البريد المركزي. الرباط المدينة. المغرب.

البريد الإلكتروني: elbalaghawaennaqedeladabi14@gmail.com

أو adnanimohammed@gmail.com

الهاتف: 35 12 65 65 06 أو 44 67 35 37 05

الملف الصحافي: 6/014

رقم الإيداع القانوني: 2014PE0036

ردمد: 2351-8790

الغلاف من تصميم الفنان: محمد السالمي

الطباعة: دار الأمنية - الرباط

التوزيع: سبريس

لا تعبر المواد المنشورة عن وجهة نظر هيئة التحرير والهيئة الاستشارية

المحتويات

كلمة العدد..... 5

■ **دراسات وأبحاث:**

- تمثلات المرأة في أخبار الطفيليين (أحمد علواني)..... 9
- روايةُ فرويد، وفرويد روائيا؟ (حسن المودن)..... 27
- اشتغال الزمن في السيرة الذاتية (زكية حسني)..... 33
- ضحية البطولة الزائفة: مقاربة لقصيدة من روائع الحراز (عبد الكريم الشباكي)..... 47
- التفكيكية في النقد المغربي المعاصر: محمد مفتاح، حميد لحمداني (علي صديقي)..... 51
- تمثلات الصراع بين الأنا والآخر (محمد التعمرتي)..... 73
- حدود العلمية في تدوين الشعر العربي القديم ونقده (محمد عدناني)..... 81

■ **ملف العدد** (الأدب والترجمة):

- الترجمة الثقافية والفضاء الثالث (أنور المرتجي)..... 83
- حدود الترجمة والإبداع (حسن بحراوي)..... 109
- المفارقة في النقد الغربي: إشكالية الترجمة ومفهوم المصطلح (خيرة جريو)..... 123
- لا براءة في الترجمة (الترجمة بين الصدفة والضرورة) (رشيد بنحدو)..... 139
- محاولة في تحقيق دعوى قلق الترجمة العربية القديمة وتهويلها (السعيد أهرو)..... 149
- ترجمة أعمال عبد الفتّاح كيلَيطو: الوضع والوظيفة (عبد الكبير الشرقاوي)..... 143
- صعوبات الترجمة وفضائلها (عبد السلام بنعبد العالي)..... 169
- «عودة النص» الإبداعي المغربي بالفرنسية إلى العربية من منظور ما بعد استعماري (فاتحة الطايب)..... 171
- الترجمة بين هجرة الذات وتأصيل الآخر (فريد الزاهي)..... 187
- ترجمة الأجناس الأدبية وحوار الثقافات (محمد بوشفر)..... 199

■ **ترجمة:**

- في الحاجة إلى أرسطو، كاترين غوليو، ترجمة وتقديم إدريس جبري..... 209
- نحو نظرية للمؤسسة الأدبية. جاك ديبوا، ترجمة إدريس الخضراوي..... 213
- هل توجد لغة قانونية؟، أودري لاور، ترجمة حافظ اسماعيلي علوي..... 227
- الصورة والمعرفة المشتركة: عذراء بنطلحة، بيير ألبن دُلانوي، ترجمة حسن بالكراع..... 235
- السجلِ الإيمائي في الشرائط المصورة، كلود بريمو، ترجمة سعيد بنكراد..... 239
- الشعريّ والأدبية، أدريان مارينو، ترجمة عبد النبي ذاكر..... 247

■ **سيرة وحوار:**

- فريد الزاهي: الترجمة إن لم تكن مؤسسية، فهي تكون ثقافية، محمولة على هوى الأفراد واختياراتهم..... 259

■ **قارئ وكتاب**

- كتابة التأريخ العلمي والأدبي المحلي: قراءة في كتاب: «الحياة العلمية والأدبية وأعلامها بتارودانت للأستاذ أحمد بزيد الكنساني» (حسن طالب)..... 275

■ **مفاهيم وقضايا نقدية وبلاغية:**

- مفهوم الحِوارية: من المحكي الروائي إلى التداول الاستعاري (إبراهيم أسيكار)..... 285

قواعد النشر في المجلة

تنشر مجلة «البلاغة والنقد الأدبي» جميع الدراسات والمقالات الأصلية والمترجمة من أي لغة أخرى في مجال اختصاصها، المراعية لأدبيات البحث العلمي.

وتيسيرا لعمل هيئة التحرير، والهيئة العلمية للمجلة، ولإعطاء المساهمة حظا أوفر في النشر، يرجى الالتزام بالأدبيات الآتية:

- ترسل المساهمات على البريد الإلكتروني للمجلة elbalaghawaennaqedeladabi14@gmail.com، مكتوبة بالوورد، بحجم 14، وبخط Simplified Arabic في المتن.
- توضع الإحالات في أسفل كل صفحة، مع الاقتصار على اسم المؤلف، والمؤلَّف، والصفحة فقط. وتُثبت المصادر والمراجع والدوريات باللغة العربية أو الأجنبية في آخر المساهمة (اسم المؤلِّف، اسم المؤلَّف، دار النشر، سنة النشر، ورقم الطبعة). وإذا كان مقالا من مجلة، يوضَع بين مزدوجتين، ويُذكر العدد أو المجلد والسنة. ويُراعى في إعداد كل ذلك الترتيب الألفبائي لأسماء المؤلفين.
- يُؤْمَل ألا يتجاوز عدد الكلمات 5000 كلمة.
- يُرفَق النص المترجَم من أي لغة بالنسخة الأصلية له، مع ضرورة التوثيق.
- يُبَلَّغُ أصحاب المساهمات بتسلم مساهماتهم العلمية فور التوصل بها، وتحال على هيئة التحرير، والهيئة العلمية للمجلة للبث فيها على نحو سري. ويُبلغ أصحاب المساهمات المجازة بذلك.
- تَطلب هيئة التحرير، في إطار التعاون العلمي، إجراء التعديلات الضرورية عند الاقتضاء. اختزالا أو توسيعا أو تصويبا.
- لا تعاد المساهمات لأصحابها، سواء تلك المقبولة للنشر، أو التي لم تُقبل.

كلمة العدد

التزاما من هيئة التحرير بإصدار المجلة في موعدها، حتى لا تُخْلِفَ وعدها للقارئ الكريم، تضع بين يديه هذا العدد المزدوج الذي أملته اعتبارات عديدة؛ أهمها:

وفرة الأعمال الجيدة التي وردت على المجلة، والتي لا يمكن لهيئة التحرير تأجيلها لمرات ومرات، إنصافا للباحثين الأعزاء من جهة، وللقارئ من جهة أخرى.

أهمية ملف العدد، ووفرة المساهمات القيمة التي تفضل بها الأساتذة الأفاضل، سواء الذين راسلناهم فاستجابوا بكل أريحية، أو الذين تزامنت مساهماتهم مع الملف؛ وللكل الشكر الجزيل.

استحالة إصدار عدد آخر بعد هذا في السنة نفسها (2015)، بالمواصفات الجيدة، نظرا لما يتطلبه إعداد المجلة من جهد ذهني ونفسي وعلمي.

تنظيم أزمنة إصدار المجلة بالتوزيع المتساوي بين الفصول (ثلاثة أعداد كل سنة).

لكل هذه الاعتبارات، جاءت مجلتنا في هذا العدد المزدوج (الرابع والخامس)، دسمة، غنية ومتنوعة المواضيع، مع ثبات الأركان التي أَلِفها القارئ.

وهكذا، ففي «ملف العدد الذي خصصناه لـ «الأدب والترجمة» عشر مساهمات، أغلبها لأعلام مُبَرَّزين في بابهم، وبعضهم من الباحثين الشباب الذين يبصمون على حضور لافت في البحث العلمي. إذ سيلتقي القارئ الكريم بمساهمات للسادة الأساتذة الباحثين: أنور مرتجي، حسن بحراوي، خيرة جريو، رشيد بنحدو، السعيد أهرو، عبد الكبير الشرقاوي، عبد السلام بنعبد العالي، فاتحة الطايب، فريد الزاهي، محمد بوشفر. وكلهم ساهموا بأبحاث تقارب موضوع الترجمة والمترجمين من زوايا متعددة ومختلفة.

وفي امتداد ملف العدد، جاء ركن «الترجمة» ثريا بترجمات لأساتذة باحثين لهم صيتهم الكبير في البحث العلمي وفي الترجمة أيضا، كالأساتذة: سعيد بنكراد وحافظ اسماعيلي علوي وإدريس جبري وعبد النبي ذاكر وإدريس الخضراوي وحسن بالكراع. فالمناسبة شرطٌ لتعدد الترجمات في هذا العدد.

وتساوقا مع ملف العدد أيضا، كان الحوار مع عَلَم من أعلام الترجمة في المغرب والعالم العربي؛ إنه الأستاذ فريد الزاهي الذي ناقش مسألة الترجمة ودورها وطبعيتها وأدبياتها وطبيعة عمل المترجم...

أما باقي الأركان، فقد ساهم فيها نخبة من الباحثين بدراسات وأبحاث تمَس موضوعات مختلفة، تمتد إلى السرد والنقد الأدبي وشعر الزجل وعلاقة الإنسان العربي بالآخر من خلال الأدب، إلخ... وقد ساهم في هذه الأركان أساتذة أجلاء كحسن طالب وحسن المودن ومحمد التعمرتي وإبراهيم أسيكار وزكية الحسني وأحمد علواني.

وفي الختام، لا يسع المشرفين على المجلة إلا شكر من ساهم في إخراج هذا العدد: إعدادا وتقويما وإرشادا. كما لا يسعهم إلا أن يتمنوا قراءة ممتعة ومفيدة لمختلف المواد، راجين أن يكونوا عند حسن ظن القراء الكرام.

دراسات وأبحاث

تمثلات المرأة في أخبار الطفيليين

أحمد علواني[١]

منطلق الدراسة

تُعدُّ أخبار الطفيليين بمثابة وثيقة فنية لها دلالاتها الأدبية والاجتماعية والسياسية والتاريخية والثقافية؛ لأن الطفيلي[٢] في حِجَاجه واحتياله إنما يثور علي المجتمع، فيخرج ليطلب حقه في أن يعيش في قلب المجتمع، ولا عيش بدون غذاء؛ حيث يمثل الطعام قضية جوهرية مطروحة في هذه الأخبار[٣]. وموقف الطفيلي من الطعام هو موقف الإنسان الذي لا يجد ما يأكله، ومن هنا يرى أن حقه الطبيعي أن يأكل ليعيش، ونتيجة لذلك يتطفل على غيره، وفي تطفيله لا ينفصل عن واقعه؛ بل يراقبه عن كثب، وينقده بطريقته الخاصة، ويحتال عليه بأساليبه المتنوعة. ومن ثمَّ يُقبل الطفيلي على الموائد والولائم ـ دون دعوة ـ في ثقة؛ فهو يمتلك قدرة تمكنه من التغلب علي خصمه/ صاحب الوليمة بالحيل العجيبة، وسرعة البديهة، والذكاء الوقاد، وخصوبة الخيال، وبراعة التنكر والتمثيل، إلى جانب قدرته على تخدير خصمه تخديرًا

---

١ - مدرس النقد الأدبي بقسم اللغة العربية .كلية الآداب .جامعة بنها .جمهورية مصر العربية.

٢ - لعله من الأنسب .قبل المضي في محاور الدراسة .أن نعرف من هو الطفيلي. إنه ذلك الشخص الذي يدخل على قوم ليأكل من طعامهم، وذلك من غير أن يُدْعَى. ولفظ "الطفيلي" مأخوذ من الطُّفَل، وهو الظُّلْمَةُ؛ أي إقبال الليل على النهار بظلمته؛ لأن الفقيرَ من العرب كان يحضر الطعامَ الذي لم يُدْعَ إليه مُتسترًا بالظُّلْمَةِ لئلا يُعْرَف. وكذا أمر الطفيلي يُظْلم على القوم فلا يدرون من دعاه، ولا كيف دخل عليهم. والتطفيل منسوب إلى رجل يسمي "طُفَيْل" من أهل الكوفة من بني غطفان، كان يأتي الولائم من غير يُدْعَى إليها؛ فكان يُقال له طُفَيْلُ الأعراسِ والعرائس، وإليه يُنسب الطفيليون. يمكن مراجعة: ابن منظور (جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور): لسان العرب، تحقيق: عبدالله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي .دار المعارف، د.ت، راجع مادة "طفل": ص٢٦٨١ .٢٦٨٣ (بتصرف). وأيضا يُقال علي الطفيلي؟ الراشن. ويقال: رَشَنَ الرجل إذا تَطَفَّل ودخل بغير إذن. فالرَّاشِنُ: أي الداخل على القوم الآتي ليأكل. رَشَنَ يَرْشُن رَشُوناً، فهو رَاشِنٌ. وهو الذي يتعهد مواقيت طعام القوم فيَغْتَرُّهم اغترارًا. راجع "لسان العرب"، مادة: رشن.

٣ ـ سبق لنا دراسة "السرد والحجاج في أخبار الطفيليين: كتاب التطفيل للخطيب البغدادي نموذجًا" .مجلة فصول للنقد الأدبي .مجلة فصلية محكمة تصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب .العددان ٨٥ / ٨٦ .ربيع / صيف ٢٠١٣. ص ص١٣٧ .١٧٧.ولم يرد في أخبار الطفيليين خبر بطلته امرأة؛ فالمرأة لا تطفل، ولكن ثمة من يطفل على بيت غيره من أجل امرأة، وهذا يخالف الشائع في أخبار الطفيليين، ولعل هذه الأخبار تحتاج إلى وقفة بحثية لدراستها، وسبر غورها، ورصد تمثلات المرأة بها، وهذا ما نحاوله في دراستنا هذه.

عقليًا، يقوم على المناظرة ومقارعة الحجة بالحجة، ومن ثمَّ يقف عقل الخصم عاجزًا عن التفكير، وهنا سيرضخ ويُذعن تاركًا الطفيلي يمر ليدخل فيأكل[١].

وإذا كان المألوف ـ في معظم أخبار الطفيليين ـ أن يتوجه الطفيلي نحو المناسبات الاجتماعية القائمة على إعداد الأطعمة والمأكولات، ويحتال لدخول البيت والولوج إلى مائدة الطعام، فهو يطفل بغرض الأكل؛ فثمة أخبار طَفَلَ فيها الأكابر والأشراف وأهل العلم والأدب ليس رغبة في الطعام، ولكن من أجل المرأة[٢] !!

وهذه الظاهرة هي منطلق الدراسة، وفيها سنحاول تلمس الإجابة عن سؤال مفاده: إذا كان للعنصر النسائي حضور في أخبار الطفيليين. فما هي الصورة التي جاءت عليها المرأة؟

وللإجابة عن هذا السؤال، سنبحث في متون أخبار الطفيليين[٣]. ولنبدأ، في تلمس الإجابة عن هذا السؤال، من الباب الذي عقده الخطيب البغدادي في (ذِكْرِ مَن طَفل من الأكَابِر والأشرافِ وأهل العلم والأدب)[٤].

فواضحٌ من عنوان الباب أنه سيحكي أخبارًا عن بعض الأكابر والأشراف والمشهورين من أهل العلم والأدب، الذين طفلوا على منازل غيرهم، دون دعوة مسبقة من أهلها، ولذا احتالوا ليدخلوها، ولعل هذا يثير تساؤلات في نفس المتلقي، منها مثلاً: من هؤلاء[٥]؟ وما الدافع وراء تطفيلهم؟ هل الطعام هو سبب التطفيل أم ثمة حافزٌ آخر؟!

---

١ - أحمد علواني: "السرد والحجاج في أخبار الطفيليين: كتاب التطفيل للخطيب البغدادي نموذجًا". مرجع سابق. ص١٦٦.

٢ ـ سيتم الاعتماد على مصادر الأدب العربي التي رصدت مثل هذه الأخبار، وهي:

ـ "التطفيل وحكايات الطفيليين وأخبارهم ونوادر كلامهم وأشعارهم" للخطيب البغدادي. تحقيق: د. عبد الله عبد الرحيم عسيلان. دار المدني. جدة. ط١. ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

ـ "العقد الفريد" لابن عبد ربه. تحقيق: مفيد قميحة. دار الكتب العلمية. بيروت. ط٣. ١٤٠٧هـ. ١٩٨٧م.

ـ "نهاية الأرب في فنون الأدب" للنويري. تحقيق: مفيد قميحة وآخرون. دار الكتب العلمية. بيروت. ط١. ٢٠٠٤. ج٣.

٣ - كثرت أخبار الطفيليين في السرد العربي القديم، ولعل أهم المتون السردية التي ركزت على حضور المرأة هي: (كتاب "التطفيل وحكايات الطفيليين وأخبارهم ونوادر كلامهم وأشعارهم" للخطيب البغدادي. و(كتاب "العقد الفريد" لابن عبد ربه). و(كتاب "نهاية الأرب في فنون الأدب" للنويري).

٤ - راجع: الخطيب البغدادي: التطفيل وحكايات الطفيليين وأخبارهم ونوادر كلامهم وأشعارهم. ص ص٩٧. ١١٣.

٥ - إن الشخصيات المذكورة بحسب ترتيب الأخبار الواردة في الباب هي: (عبد الله بن جعفر، ذو الرُمة، زكريا بن منظور، رَقَبة بن مصقلة العبدي. الحكم بن ميمون، إبراهيم بن المهدي، إسحاق بن إبراهيم الموصلي، مخارق المغني)؛ فمنهم من طفل رغبة في الطعام، وعُرف بذلك، واشتهر أمره: حيث قادته شهوة الأكل إلى ممارسة فعل التطفيل، وهذا تطفيلٌ مألوفٌ وشائعٌ. ومنهم من طفل عرضًا لا عمدًا، وجاء تطفله مصادفة أثناء خروجه لأمر ما، ولم يطفل بغرض الأكل، ولكن بدوافع أخرى: مثل: سماع غناء قينة، أو وقوع النظر على جزء من جسد أنثوي حسن، أو رؤية جارية فاتنة، وهذا تطفيلٌ مغايرٌ للمألوف: لأنه لا يتولد عن رغبة في الأكل، بل ينتج عن اشتهاء للمرأة.

وللإجابة عن كل هذه التساؤلات وغيرها، سنقف عند أخبار التطفيل المغايِرة للمألوف لتحليلها، ورصد ملامح تمايزها، وإبراز عناصر مغايِرتها لأخبار الطفيليين المعروفة أو المألوفة.

يمكن البدء بتحليل خبر تطفيل "إبراهيم بن المهدي"[١]. وفيه يحكي "إبراهيم" واقعة تَطْفِيله للخليفة "المأمون"، والظاهر أن غرض الحكي هو التأديب؛ لأن حكايته سترد عقب خبر الطفيلي الذي أمر الخليفة بأن يؤدب، ولكن باطن الخبر يحتوي على مجموعة من الحقائق سيتم الكشف عنها في تضاعيف التحليل.

ومن الملحوظ أن الخبر ينقسم إلى حكايتين: الحكاية الأولى هي حكاية الزنادقة والرجل المتطفل. والحكاية الثانية هي حكاية "إبراهيم بن المهدي" والرجل الذي أكرمه.

فأما عن الحكاية الأولى فأول شيء يلفت انتباهنا أن الحكي ينفتح على أمر الخليفة المأمون بأن «يُحمَلَ إليه عشرةٌ من الزنادقة سُمّوا له من أهل البصرة»[٢].

إذًا، فالزنادقة محددون بعددهم، ومعروفون بأسمائهم، للخليفة نفسه، وأيضًا لرجاله المأمورين بإحضارهم وحملهم؛ في حين أن الزنادقة مجهولون بالنسبة إلى الطفيلي؛ فهو لا يعرفهم كأشخاص، ولا يعرف أسماءهم ولا يفقه أقوالهم، وبمجرد رؤيته لهم سيركز علي كونهم زمرة مجتمعة، وسيقوده ظنه إلى أنهم ذاهبون إلى صنيع/ طعام أُعدَّ لهم؛ لأن الطعام هو شاغل الطفيلي الأكبر. ولسيطرة هذا الشاغل على عقله، يقوده تفكيره إلى الاحتيال؛ ليكون واحدًا منهم، وذلك بانسلاله ودخوله في زمرتهم.

ينتهي الجمع، وبينهم الطفيلي، إلى زورق. وبرؤية الطفيلي للزورق يتوقع القارئ بأن الطفيلي سيتراجع منعزلاً عنهم كما أنسل داخلاً بينهم؛ لأن الأمر لم ينتهِ إلى صنيع/ طعام فيأكل معهم، ولكن انتهى إلى زورق معدّ لهم، ولكن فعل الطفيلي يخالف توقع القارئ؛ فقد دخل معهم الزورق، ولكنه قبل أن يدخل يحول غرضه من صحبتهم إلى الصنيع/ الطعام إلى ركوبه في الزورق بغرض التنزه: «فدخلوا الزورق، فقال الطفيلي: هي نزهة؛ فدخل معهم الزورق.»[٣]

إن الطفيلي يجعل بصره خادمًا لغرضه، أو مرادفًا لظنه المحبب إلى نفسه، بمعنى أنه إذا رأى جمعًا ظن أنهم ذاهبون إلى وليمة؛ فإذا رآهم ركبوا في زورق تحول ظنه مع ركوبهم الزورق إلى التنزه؛ فهو لم يُحصّل طعامًا؛ ولذا يرغب في الإفادة من تطفله عليهم؛ فإذا لم يحظ بالأكل، يستمتع بالتنزه، ولكنه يخرج من خداعه البصري، بعد تقييده معهم: «قُيِّدَ القوم، وقُيد معهم الطفيلي؛ فقال الطفيلي: بلغ تطفيلي إلى القيود.»[٤]

١ - نهاية الأرب في فنون الأدب: ج٣. ص ص ٢٩٨/٣٠٩. ولقد ورد الخبر أيضًا في "العقد الفريد"، ج٧. ص ص١٩٩. ٢٠٣. كما ورد في كتاب التطفيل. ص ص١٠٢. ١٠٨.

٢ - التطفيل. ص١٠٢. ١٠٣.

٣ - نفسه: ص١٠٣.

٤ - نفسه: نفس الصفحة السابقة.

إن القيْد جعل الطفيلي يفيق من غيبوبة الظن في الصنيع أو النزهة، كما أزال القيْد غشاوة بصره؛ ليفطن إلى أن رؤية الجمع والأمل في الصنيع تحول بدخولهم في الزورق إلى ظن في نزهة مأمولة، والتي تحولت بدورها إلى قيد وأسر.

ومن المثير للجدل أن الطفيلي، بعد تقييده وتحققه من الأمر، سيواصل غفلته أو ـ بالأحْرى ـ تغافله؛ فلن ينطق ليمنع القيد عن نفسه، أو يصيح منبهًا الحرس قائلاً: "لست معهم، وإنما تطفلت ودخلت بينهم"؛ بل سيظل مكبلاً، وهذا يجعلنا نتساءل: هل الطفيلي ما يزال يحتال؟!

إنه يعمد إلى الغفلة، أو يتعمد التغافل؛ فيلزم الصمت، وهو بين يدي الخليفة "المأمون"، وقد: «جعل يدعو بأسمائهم رجلاً رجلاً، فيأمر بضرب رقابهم؛ حتى وصل إلى الطفيلي، وقد استوفى عدة القوم...

ـ فقال للموكلين بهم: ما هذا؟

ـ فقالوا: والله ما ندري، غير أنّا وجدناه مع القوم فجئنا به.»[1]

ولعلّ الطفيلي عمد إلى التغافل، وفيه حيلة بليغة؛ فهو يرى الجمع يتناقص من حوله، والزنادقة يقتلون واحدًا تلو الآخر، وقد نفد الجمع، وانتهى العدد إلى عشرة، ولم يبق إلا هو، والخليفة لا يعرفه، فيناديه باسمه، كما عرف الزنادقة فدعاهم بأسمائهم. ولذا، فالخليفة يسأل رجاله: ما هذا؟ طالبًا منهم تعريفه، وهم بدورهم لا يعرفون؛ ومن ثمَّ، سيتحول الخليفة بخطابه إلى الطفيلي:

«ـ فقال المأمون: ما قصتك ويلك؟

ـ فقال: يا أمير المؤمنين، امرأته طالقٌ إن كان يعرف من أقوالهم شيئًا، ولا يعرف إلا الله ومحمدًا النبي ﷺ، وإنما أنا رجلٌ رأيتهم مجتمعين؛ فظننت صنيعًا يغدون إليه. فضحك المأمون، وقال: يؤدّب[2]»[3]

---

١ - التطفيل: ص١٠٣.

٢- ربما لم يكن من قبيل المصادفة أن يدخل الطفيلي ضمن الزنادقة، وأن يكشف الخبر عن هوية الطفيلي الدخيل. ومما لا شك فيه أن الطفيلي الفرد بمثابة رمز فني يعكس صورة الطفيليين، ويشير إليهم: فالمجتمع يزخر بهم، والطفيليون لا يجدون ما يأكلونه، وقد عجزوا عن الكسب في ظل مجتمع عباسي إقطاعي، لا مجال فيه للفقراء؛ ولذا تلحظ في معظم الأخبار المسرودة أن الطفيلي لا يطفل إلا على موائد وولائم الأغنياء، فقد أخذ الطفيليون يوظفون أساليبهم الحجاجية ووسائلهم الاحتيالية .وإن جاءت بشكل ظاهره السخرية واللهو .وهم يفعلون ذلك درءًا للجوع، ومحاولة لكسب لقمة العيش، وسد رمق الأبناء؛ ومن ثم، فالطفيلي لا يطفل إلا على الموائد العامرة التي يمتلكها الأمراء والأثرياء، ويأكل حتى يشبع ثم ينصرف، وقد أقام أوده، وملأ بطنه، بل حمل طعامًا لذويه وأهله. [راجع الأخبار في كتاب التطفيل: (أ). "خبر الطفيلي مع الخليفة المأمون" ص ص١٠٢ / ١٠٣. (ب). "خبر الجار الطفيلي الذي تبع نصرًا إلى وليمة أمير البصرة (جعفر بن القاسم الهاشمي)". ص ص١٣٨ / ١٣٩. (ج). "خبر أبي مالك الهالك مع عبد الله بن إبراهيم بن إسحاق" ص١٢٢].

٣ _ نفسه: ص١٠٣.

ومن اللافت للنظر أن الطفيلي لم ينتبه من غفلته المتعمدة؛ فينطق ليُعرب عن نفسه، إلا بعد سؤال الخليفة له، فيجيب دافعًا تهمة الزندقة عن نفسه، مصرحًا بغرضه من احتياله، وسبب سيره في ذيل أي جمع أو دخوله مع أي ركب .. إن غرضه الأكل وما يتبعه من امتلاء للبطن .. إنه لا يندفع بغرض التطفيل بوصفه غاية في حد ذاته، بقدر ما يدفعه الجوع إلى التطفيل، لتبليغ نفسه بلقيمات يأكلها؛ فيقيم أوَدَه، ويحفظ حياته.

وإذا أردنا تحليل جواب الطفيلي عن سؤال الخليفة، سنجد أن جوابه لا يمثل دفاعًا عن النفس بغرض النجاة من القتل؛ فالطفيلي يعلم أنه لن يُقتل مثل الزنادقة، فهو لم يكفر بالله ورسوله ليُقتل، ولكنه تطفل ليأكل.

يحاجج الطفيلي الخليفة، وفي حجاجه تنبيه للخليفة إلى أن ثمة كثيرين في دولته، وتحت ظل خلافته المصونة، يتطفلون لأنهم لا يجدون ما يأكلونه، وما الطفيلي إلا رمزٌ لهؤلاء، وعلى الرغم من ذلك فلم ينتبه الخليفة إلى الرسالة المبثوثة أو القضية المطروحة في رد الطفيلي[١]؛ فلم يفكر في مضمون الجواب، وما يطرحه من قضية لا تقل في خطورتها عن الزندقة .. إنها قضية التطفيل. ولا تقف خطورة القضية عند حد رجل يتطفل ليأكل، بل رجل لا يجد ما يأكله فيتطفل.

ولعل عبارة الراوي: (فضحك المأمون، وقال: يُؤدب) تعكس أمرًا بالغ الأهمية؛ لأن ضحك الخليفة يدل على أنه أخذ تطفيل الرجل على ظاهره الهزلي؛ فضحك من حيلته، وربما سخر من فعله، ثم جاء أمره بتأديب الطفيلي ليؤكد لنا أنه لم يفطن إلى جواب الطفيلي ومضمونه الباطن؛ لأنه لم يأمر له بطعام ليأكل فيشبع؛ بل رأى أن يُؤدب على فعله، وهنا سيظن المتلقي بأن القصة قد انتهت، ولكن يفاجئه الراوي برد "إبراهيم بن المهدي"، لينتقل به نقلة أخرى. وهذا ينقلنا إلى تحليل الحكاية الثانية التي تضمنها الخبر كما أشرنا فيما سبق.

لقد طلب "إبراهيم بن المهدي" من "الخليفة المأمون" أن يهب له تأديب الطفيلي: «يا أمير المؤمنين، هب لي أدبه أحدثك بحديث عجيب عن نفسي»[٢]. ومن ثمَّ، يتوقع المتلقي أن حديث "إبراهيم" سيكون حديثًا تأديبيًا يتوجه به إلى الطفيلي خاصة، ولكن "إبراهيم" لن يتوجه إلى الطفيلي ليؤدبه؛ بل أخذ يوجه حديثه إلى الخليفة خاصة. وإمعانًا منه في جذب الخليفة، يصف حديثه بأنه عجيب، وبهذا الوصف يضع إبراهيم/ المتكلم فخًا للخليفة/المخاطب؛ فقد استثمر حادثة تطفيل الرجل، ووجد الفرصة سانحة ليقتنص آذان المستمعين، وبحسب "كيليطو"، فـ «إنَّ الكلام قد يتحول إلى شبكة لاقتناص ضحية .. لاقتناص المستمع.»[٣]

١ - إن الطفيلي في رده لا يعمل على فضح نفسه بكشف تطفله، بل يفضح السلطة الحاكمة.

٢ - التطفيل: ص١٠٤.

٣ - عبد الفتاح كيليطو: الحكاية والتأويل - دراسات في السرد العربي. دار توبقال للنشر. الدار البيضاء. المغرب. ١٩٨٨. ص٤٠.

كما يحرص إبراهيم/ المتكلم، منذ بدأ في سرد خبره، على أن ينادي مخاطَبه الخاص، وهو الخليفة: (يا أمير المؤمنين...)، وعلى مدار الخبر، وحتى النهاية سيتردد نداء المتكلم للمخاطب ليصل النداء السابق إلى (أربع عشرة مرة). ولعل هذا التردد يؤكد أن حديث المتكلم ليس تأديبًا لرجل تطفل، بل في نفسه حاجة، ويدور بخلده أمل يسعى إلى بلوغه أو تبليغه للخليفة لا للطفيلي؛ وذلك بواسطة حكاية ادّعى أنها عجيبة، هو بطلها؛ لأنه سيحكي عن نفسه، وعن تطفله، وعن رجل أكرمه وأطعمه وزوّجه من أخته... ولعل هذا يدفع إلى التساؤل: ما غرض إبراهيم بن المهدي من سرد حكايته؟، أو ماذا يريد من الخليفة بعد سماع حديثه العجيب؟

إن إدخال إبراهيم/ المتكلم حديثه في إطار العجيب سيدفع بنا إلى التركيز، عند تحليل الخبر، على رصد العجيب، والوقوف عليه، فما العجيب في الخبر؟ أو ما المغايِر للمألوف والخارج على العادة؟!

لقد خرج إبراهيم من مجلس الخليفة، وسار في سكك بغداد. ويصف حالته المزاجية بأنه متطِّرب، وهذا يجعل القارئ يتخيل سيره بطرب، وما يتبعه من مرح ونشوة وتُؤَدَةٍ ورويَّة في المسير. وأثناء سيره، يشم رائحة طيبة لطعام يُطهى، ويولد الشم اشتياقاً إلى المشموم/الطعام، والشم في حد ذاته يمثل لذة؛ لأن «المشموم يؤثر في كيان المرء كله: جسدًا ونفسًا، حين يكون فاعلاً بقوة؛ إذ يتوزع تأثيره في مختلف أنحاء الجسم، ويريح الأعصاب، بل العين ذاتها تصبح أكثر استعدادًا للنظر والرؤية مادام المشموم زكي الرائحة، والعقل يكون في عنفوانه؛ حيث الدماغ يستقبل كل ما من شأنه جعْل صاحبه منفتحًا على ما حوله، مغمورًا بفرحة لا حدود لها، ويسرع الخُطى نحو المشموم أكثر فأكثر؛ فالمشموم يتجاوز خاصته .. إنه يستثير الجسد كله، ويفعل في المشاعر والأفكار بالمقابل.»[١]

وفي الخبر، سينظر "إبراهيم" إلى مكان المشموم، ليحدد جهته. وبنظره يتحول غرضه من أمر البحث عن المشموم .وما يتبعه من اشتياق للأكل .إلى انشغال بالجسد الأنثوي، وحسب تعبيره: «فرميتُ بطرفي إلى الجناح، فإذا في بعضه شباك، فنظرتُ إلى كفٍّ قد خرجت من الشباك قابضة على عضد ومعصم، فشغلني - يا أمير المؤمنين - حسن الكف والمعصم عن رائحة القدور، ويقيت باهتًا ساعة، ثم أدركني ذهني»[٢].

فواضحٌ هنا أن رؤية "إبراهيم" للكف شغلته عن شم رائحة القدور؛ فقد أثارته رؤية جزء حسن من جسد أنثوي؛ فانشغل به، ونمت مشاعره ومخيلته لتكوين صورة عن جسد بضّ مكتمل الحسن من واقع رؤية جزء منه هو الكف؛ ومن ثم أخذ يفكر في كيف يحتال للوصول إلى الأنثى/ صاحبة الكف الحسن.

١ - إبراهيم محمود: جغرافية الملذات: الجنس في الجنة .رياض الريس للكتب والنشر .ط١ .يناير ١٩٩٨ .ص٣١٣.

٢ - التطفيل: ص١٠٤.

إذًا فدافعه إلى الاحتيال، ودخول المنزل، ليس الأكل من طعام شم رائحته، بقدر ما هو انشغال بجسد أنثوي رأى جمال كفه؛ ولذا فـ"إبراهيم"، بعد احتياله ودخوله إلى المنزل، يأكل، ولكنه لا ينصرف، بل أخذ يخاطب نفسه: «فقلتُ في نفسي: هذه الألوان قد أكلتها، وبقيت الكف، كيف أصل إلى صاحبتها؟»[١]. وهذا يؤكد أنه لم يطفل على المنزل بغرض الطعام، ولكن بحافز الفوز بصاحبة الكف.

وإذا عدنا مرة أخرى إلى الخبر، سنقرأ: «يا أمير المؤمنين، خرجت من عندك يومًا في سكك بغداد متطِرّبًا... فشممتُ - يا أمير المؤمنين - من جناح أبازيَر[٢] قدور قد فاح طيبُها، فتاقت نفسي إليها، وإلى طيب ريحها...؛ فرميتُ بطرفي إلى الجناح، فإذا في بعضه شباك، فنظرتُ إلي كفٍّ قد خرجت من الشباك قابضة على عضد ومعصم، فشغلني - يا أمير المؤمنين - حسن الكف والمعصم عن رائحة القدور، وبقيت باهتًا ساعة، ثم أدركني ذهني.»[٣]

لقد حدد "إبراهيم"، منذ البدء، وصفًا دقيقًا لحالته المزاجية؛ فهو طربٌ، وسيتعايش مع نفسه الطربة، ملبّيًا لها ما تَتُوق إليه، وهو إذ يطفل على منزل، دون دعوة من صاحبه، إنما يفعل ذلك بدافع رغباته وشهواته، أو بالتفاعل الإيجابي مع اشتهاءات النفس؛ فهو يتجاوب مع حاسة الشم ليشتهي الأكل من القدور؛ فينشغل عن اشتهاء الطعام برؤية الكف وما يتبعه من اشتهاء لجسد أنثوي تصور حسنه من حسن كفه، وبعد احتياله ودخوله إلى المنزل سيأكل؛ وبذلك يُشبع حاجة نفسه من الطعام، ويبقى شاغله الأكبر هو الوصول إلى الأنثى/ صاحبة الكف، وبالوصول سيحقق لنفسه لذة جنسية، ولكن هذه اللذة لن تتحقق الآن؛ حيث ستتاح له لذات أخرى؛ كشراب النبيذ، وسماع الغناء... وستطغى لذاته الحسية، فلا يتمكن من ضبط نفسه؛ ولذا يصف حالته، عقب الشراب وغناء الجارية، قائلاً: «فهيجت - يا أمير المؤمنين - بلابلي، وطربت بحسن شِعْرها، وحذقها... فصحت السلام... وجاءني من الطرب ما لم أملك نفسي.»[٤]

ومع تحقيق إبراهيم/ المتكلم كلَّ هذه الملذات الحسية، وما تشبعه من شهوات نفسية وجسدية، خرجت نفس "إبراهيم" الطربة عن نواميس السيطرة العقلية؛ فهو كلما فاز بلذة حسية تاقت نفسه إلى غيرها، ولكن ثمة لذة ما يزال يُحال بين إبراهيم وبينها .. إنها اللذة الجنسية، والماثلة في توقه إلى الأنثى صاحبة الكف.

وإذا كان "صاحب المنزل" قد أتاح لـ"إبراهيم". وهو الطفيلي المجهول بالنسبة إليه - الطعام ليأكل، والنبيذ ليشرب، والجارية لتغني أمامه؛ فيستمع ويطرب ويغني، فإنه لن يسمح له بالاطلاع

١ - التطفيل: ص ص١٠٤، ١٠٥.

٢ - التوابل التي توضع في الطعام لتحسين رائحته وطعمه.

٣ - التطفيل: ص١٠٤.

٤ - نفسه: ص١٠٥.

على ما ملكت يمينه من جوارٍ، ثم أهل بيته (الأخت والأم)، إلا بعد معرفته؛ فتقرأ: «وخلوت معه فشربنا أقداحًا، ثم قال لي: يا سيدي، ذهب ما كان من أيامي ضياعًا إذ كنت لا أعرفك، فمن أنت يا مولاي؟ فلم يزل يُلح علي حتى أخبرته، فقام فقبَّل رأسي، وقال: يا سيدي، وأنا أعجب أن يكون هذا الأدب إلا من مثلك، وإذا أنا مع الخلافة وأنا لا أشعر! ثم سألني عن قصتي، وكيف حَملت نفسي ما فعلت، فأخبرته خبر الطعام وخبر الكف والمعصم، فقلت: أما الطعام فقد نلتُ منه حاجتي، فقال: والكف والمعصم؟ ثم قال: يا فلانة ـ لجارية له ـ، قولي لفلانة تنزل، فجعل يُنْزِل لي واحدة واحدة، فأنظر إلى كفها ومعصمها، فأقول: ليست هي. قال: واللهِ ما بقي غير أختي وأمي، واللهِ لأنزلنَّهما إليك؛ فعجبتُ من كرمه وسعة صدره، فقلتُ: جعلتُ فداك، ابدأ بأختك قبل الأم، فعسى أن تكون هي، فقال: صدقت، فنزلت فلما رأيتُ كَفَّهَا ومعصَمَها، قلتُ: هي هذه.»[1]

ومن اللافت في حديث "إبراهيم بن المهدي" أن نظره لا يقع على امرأة سافرة، جارية أو قينة مثلاً، ولكنه يرى كفًا تمسك بمعصم، من وراء شباك، وهذا يعكس للقارئ أن المرأة المطلوبة شريفة، مَصُونة، غير سافرة كالجواري، وعندما يدخل "إبراهيم" إلى المنزل لن تقع عيناه على صاحبة الكف ضمن من رأى من الجواري؛ وهذا إمعانًا في صيانتها، وحرصًا على تأكيد عدم تبذلها أو بذلها للرجال ـ ولاسيما إن كانوا من الأغراب ـ؛ ولذا فلن يسمح "صاحب المنزل" لـ"إبراهيم بن المهدي" برؤية أهل بيته، أو كشف حرمة نسائه (أمه، أخته)، إلا بعد معرفته هُوية "إبراهيم" ونسبه الشريف، ولا شك في أن صاحب المنزل متزوّج، ولكنه لن يعرض "زوجه" أمام "إبراهيم"؛ فليس لديه من أهله مَن يصلح للعرض والرؤية وما يتبعه من زواج إلا (الأخت ـ الأم)، أو بحسب الخبر: (قال: والله ما بقي غير أختي وأمي، والله لأنزلنَّهما إليك؛ فعجبتُ من كرمه وسعة صدره، فقلتُ: جعلتُ فداك، ابدأ بأختك قبل الأم فعسى أن تكون هي، فقال: صدقت، فنزلت فلما رأيتُ كَفَّهَا ومعصَمَها، قلتُ: هي هذه)[2].

ولا شك في أن أخت صاحب المنزل لم تتزوج بعد، كما أن والده قد مات؛ ومن ثم فمن المباح أن يُصرح بوجود أمه، فلا مانع لدى صاحب المنزل من كشف (الأم والأخت) ـ وهما الشريفتان ـ لـ"إبراهيم"، وهو الشريف الذي ينتمي إلى بيت الخلافة. كما أنه لا شك في وجود زوجة لصاحب المنزل، ولكنه يسكت عنها لأسباب معروفة لدى المتلقي، ولدى "إبراهيم" أيضًا؛ بمعنى أنه من غير المعقول أن يعرض صاحب المنزل زوجته مع الأخت والأم، حتى وإن كانت الزوجة هي صاحبة الكف والمعصم؛ فلن يطلقها ليتزوجها "إبراهيم"، ولعل "إبراهيم" يفطن لذلك، وحرصًا منه على صيانة (الأم)، فسيطلب من صاحب المنزل أن يبدأ بعرْض (الأخت).

---

١ - التطفيل: ص١٠٧.

٢ - العقد الفريد: ج٧. ص ١٩٩. ٢٠٣. ولقد ورد الخبر أيضًا بكتاب: التطفيل: ص١٠٢. ١٠٨.

وبعدما يرى "إبراهيم" الأخت، ويطلع على كفها ومعصمها فيعرفها، سنجد أن صاحب المنزل أخذ يمهد الطريق أمام "إبراهيم" ليصل إلى لذته الجنسية؛ فقد «أمر غلمانه فصاروا إلى عشرة مشائخ من جلة جيرانه في ذلك الوقت؛ فأُحضُروا، ثم أمرَ ببَدْرَتَيْن فيهما عشرون ألف درهم، وقال للمشايخ: هذه أُختي فلانة أُشْهِدُكم أنّي قد زوّجتها من سيدي إبراهيم بن المهدي، وأمهرتُها عنه عشرين ألف دِرْهم؛ فَرضِيتْ وقَبِلت النكاح، ودفع إليها البدرة، وفرق البدرة الأخرى على المشائخ، ثم قال لهم: اعذروا، وهذا ما حضر على الحال؛ فقبضوها ونهضوا. ثم قال لي: يا سيدي، أمهد لك بعض البيوت تنام مع أهلك، فأحشمني[١]. واللهِ ما رأيتُ مثل سعة صدره، وكرم خِيمه[٢]. فقلت: بل أحضر عَمَارِيَّة[٣]، وأحملها إلى منزلي، فقال: ما شئت. فأحضرتُ عَمَارِيَّة فحملتها، وصرت بها إلى منزلي، فوحقك - يا أمير المؤمنين - لقد حمل إلي من الجهاز ما ضاقت به بعض بيوتنا؛ فأولدتها هذا القائم على رأس سيدي أمير المؤمنين؛ فعجب المأمون من كرم ذلك الرجل، وسعة صدره، لله أبوه ما سمعت مثله قط، ثم أطلق الرجل الطفيلي، وأجازه بجائزة سنية، وأمر إبراهيم بإحضار الرجل؛ فكان من خواص المأمون، وأهل محبته»[٤].

إذًا، يُسرع صاحب المنزل في تزويج "إبراهيم" من أخته؛ فقد أحضر الشهود، ودفع المهر، وجهزها. والمثير للجدل هو عرضه على "إبراهيم" أن يمهد له منزلاً لينام مع أهله، كل هذا يدفع إلى إلى العجب؛ فـ"إبراهيم" يعبر عن عجبه من كرم صاحب المنزل بقوله: (فعجبتُ من كرمه وسعة صدره)، ولا يكون مثار عجب "المأمون" منذ بدأ "إبراهيم" في سرد خبر تطفله؛ فيعجب الخليفة من تطفيل إبراهيم، بل لم يصرح الراوي بعجب الخليفة إلا في نهاية الخبر: (فعجب المأمون من كرم ذلك الرجل وسعة صدره، وقال: لله أبوه ما سمعت مثله قط)[٥]. إذًا فالخليفة يعجب من كرم الرجل، ويصرح بأنه لم يسمع بمثل هذا الرجل قط، ومن ثم فقد أمر بإحضاره، وجعْله من خاصّته ومحبّيه.

وعلى هذا الأساس، لا يعدُّ خبر إبراهيم تأديبًا للطفيلي، ولكنه بمثابة تعليم للخليفة؛ فالخبر «يُبنى على قيم واضحة تحيل إلى منظومة خلقية واجتماعية تتحدد في مجموعة من المسلمات والحقائق التي تميز بين القيم الإيجابية والقيم السلبية، ويعمل الخبر بهذا على دعوة المتلقي إلى المشاركة في تلك القيم، والعمل بها في الحياة»[٦]؛ لأن "إبراهيم" يحكي للخليفة "المأمون"

١ - أخجلني.

٢ - سجيته وطباعه.

٣ - الهودج.

٤ - التطفيل: ص ص١٠٧، ١٠٨.

٥ - العقد الفريد. ج٧. ص ٢٠٣. ورد الخبر أيضًا بكتاب التطفيل: ص ١٠٨

٦ - محمد مشبال: البلاغة والسرد - جدل التصوير والحجاج في أخبار الجاحظ. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية. جامعة عبد المالك السعدي. تطوان. المغرب. ٢٠١٠. ص١٢.

خبر تطفيله، وهو بذلك مثله كمثل الطفيلي الماثل بين يدي الخليفة، ولكن تطفيل إبراهيم تم استقباله من صاحب المنزل بالكرم وسعة الصدر، في حين استقبل "المأمون" تطفيل الرجل بالتأديب له على فعله.

ومن ثم أخذ "إبراهيم" يبث في خطابه رسائل تعليمية غير مباشرة .. إنه يعلم الخليفة كيف يتعامل مع فعل الطفيلي، ومن على شاكلته من الرعية، وهم الأكثرية. والخبر يعكس حيلة "إبراهيم"، وبلاغته الخطابية؛ فلم يطلب من الخليفة ما أراده بشكل مباشر؛ فيكون طلبه أشبه بالأمر، ولكنه يسرد للخليفة خبرًا، أو يحدث عن نفسه، ويدّعي بأنه يمتلك حديثًا عجيبًا؛ ليجذب الخليفة إليه، ويحفزه على سماعه وعدم الانصراف عنه.

ولقد فطن الخليفة إلى الرسالة المبثوثة ضمنيًا في تضاعيف الحكي، وإلى المطالب المشروعة في نفس "إبراهيم"؛ فغرض المتكلم إكرام الرجل الذي أكرم بيت الخلافة ـ ممثلاً في إبراهيم ـ وبذلك يُدخل إبراهيم/ المتكلم الخليفة/ المستمع إلى حلبة صراع، يتبارى فيها مع الرجل .. إنه صراع خفي على الكرم؛ فإذا كان الرجل كريمًا فالخليفة أكرمُ منه، وإذا كان الرجل قد قرب إليه "إبراهيم"، وهو رجل من بيت الخلافة، فدخل بيته، وجلس في مجلسه، ونادمه وأكل وشرب وطرب، بل وزوّجه من أخته، فيجب على الخليفة مكافأته ليثبت لـ"إبراهيم"، وللرجل ـ أيضًا ـ أن الخليفة كريم، جواد، معطاء.

ومن هنا، فقد نجح "إبراهيم" في اللعب على مشاعر "المأمون" وفضوله لمعرفة العجيب؛ فالخليفة بعد معرفة الخبر، وما فيه من كرم عجيب، يريد أن يُشبع فضوله برؤية الرجل الكريم؛ فيأمر بإحضاره لرؤيته، ويقربه ويغدق عليه النِّعم. وبهذه الطريقة ينجح "إبراهيم" في رد الجميل لمن أكرمه، كما نجح في تعليم "المأمون" كيفية التعامل مع الطفيلي الذي تطفل بسبب الجوع؛ حيث أجازه الخليفة في نهاية الخبر بجائزة سنية.

أما إذا انتقلنا إلى تحليل خبر إسحاق بن إبراهيم الموصلي[1]، فسنجد أن السرد يبدأ بحديث "إسحاق" لابنه "حماد". خاصة. واصفًا ضجره؛ لأن الضجر في هذا الخبر لا يجوز النطق به إلا لمتلقٍّ خاص/ الابن، فإذا تم التصريح به لمتلقٍّ عام/ أي شخص فسيجرّ ذلك وبالاً كبيرًا على "إسحاق"؛ وذلك لأن سبب ضجره يتمثل في ملازمته دارَ الخلافة، والخدمة فيها، وأغلب الظن أن الابن/ حماد لم يخبر مستمعيه .ومَنْ سيروي الخبر فيما بعد .بحديث الأب/ إسحاق وضجره إلا بعد وفاته، وما يهمنا في الخبر هو قرار "إسحاق"؛ فمع تضخم شعوره بالضجر، قرّر الخروج.

إن خروج "إسحاق" يعني ـ في باطنه ـ هروبًا من الخليفة، وانقطاعًا عن خدمته، ويتجلى الهروب والانقطاع منذ مطلع الخبر: «عن حماد بن إسحاق بن إبراهيم الموصلي، حدثني أبي قال: غدوت يومًا، وأنا ضَجِرٌ من ملازمة دار الخلافة، والخدمة فيها؛ فخرجت وركبتُ بكرةً، وعزمت

١ - التطفيل: ص١٠٨.١١١.

على أن أطوف الصحراء وأتفرج، فقلتُ لغلماني: إن جاء رسول الخليفة، أو غيرُه، فعرِّفوه أني بكَّرت في مُهم، وأنكم لا تعرِفون أينَ توجَّهت.»[١]

لقد رغب "إسحاق" عن خدمة الخليفة بما يقدمه له من طرب وغناء؛ فهو يحتاج إلى خلوة مع نفسه لينفث ضجره في فضاء الصحراء. وبخروجه إلى الصحراء ينفصل عن الخليفة، ويبتعد عن خدمته، كما أن الخروج سيؤدي إلى غيابه وانقطاعه لمدّةً زمنية طويلة نسبيًا ـ شهرًا كاملاً ـ وبذلك يتعدّى غيابه حدود المقبول لدى مخدومه/ الخليفة؛ مما يدفع المخدوم إلى السؤال عن الخادم، وبحسب تعبير "إسحاق": «لا يعرف أحدٌ أين أنا، والمأمون يطلبني في كل موضع؛ فلا يعرف لي خبرًا»[٢]؛ فلا يملك الجواب إلا الخادم/ الغائب نفسه، ومع حضور الغائب وظهوره سيبادر الخليفة بسؤاله: «إسحاق، ويحك! أين تكون؟»[٣]. وفي هذه الحالة، سيحكي "إسحاق" خبر غيابه، أو سبب تغيبه، ولكن لن يفصح عن ضجره، ورغبة انفصاله عن الخليفة؛ بل سيركز على خبره مع الرجل/ صاحب المنزل الذي طفل عليه، واحتال ليدخل إلى منزله راغبًا في الفوز بالجارية الفاتنة...

وبهذا الخبر يحتال "إسحاق" على الخليفة؛ فهو لن يتعلل بسبب عابر قطعه عن دار الخلافة؛ بل يحكي خبرًا مؤثرًا وجاذبًا للخليفة، ليكسب وُدّه مرة أخرى، ويربح من ماله؛ لذلك يركز "إسحاق"، في ختام خبره، على مقدار ما ربحه من مال الخليفة، وما تسبب فيه من ربح للرجل/ صاحب المنزل والجارية المغنية.

ومن المثير للانتباه أنّ الأنثى هي مصدر طرب المطرب/ إسحاق ـ إذا جاز التعبير ـ فقد خرج "إسحاق" إلى الصحراء بضجره، وعاد به أيضًا، ولم يخرج من حالته إلا برؤية الأنثى: «فلم ألبثْ أن جاء خادمٌ يقود حمارًا فَارِهًا عليه جارية راكبة، تحتها مِنديلٌ دَابِقي، وعليها من اللباس الفاخر ما لا غاية وراءه، ورأيت لها قوَامًا حسنًا، وطَرْفًا فاترًا، وشمائل ظريفة؛ فحدستُ أنها مغنية؛ فدخَلت الدار التي كنتُ واقفًا عليها، وعلقها قلبي في الوقت علوقًا شديدًا لم أستطع معه البراح.»[٤]

على النحو السابق وصف "إسحاق" الجارية على النحو السابق، وواضح دقة وصفه وتفصيله؛ فـ"إسحاق" يمعن النظر إلى الجارية؛ فتنطبع صورتها في مخيّلته، ويعلق بها قلبه.

وثمة ملاحظةٌ جديرةٌ بالوقوف عندها، هي أنّ وصف "إسحاق" للجارية لم يقتصر على هذا الوصف؛ فكلما حضرت الجارية يلحّ على وصفها، وكأنه يراها للمرة الأولى: «وخرجت الجارية،

١ - التطفيل: ص ص١٠٨. ١٠٩.

٢ - نفسه: ص١١١.

٣ - نفسه: ص١١١.

٤ - نفسه: ص١٠٩.

وفي يدها عودٌ؛ فرأيتُ جارية حسناء، وتمكن ما في قلبي منها؛ فغنت غناء صالحًا، وشربنا.»[١] فهنا يتعلق الوصف «بآثار الجمال الجسمي والصوتي ونتائجه»[٢]. ثم يواصل خبره معها؛ فقد رآها، وطفل من أجلها، وطرب بغنائها؛ فخرج من ضجره، وفاز بها في نهاية الخبر. ولكن إلحاح "إسحاق" على وصفها من آنٍ لآخر يحتاج إلى تفسير!

ولا شك في أن "إسحاق" حكى للخليفة خبره مع الجارية؛ ولذا فهو يركز على وصف أنثى تستحق المغامرة والتطفيل من أجلها، إضافة إلى أن "إسحاق" يريد أن يشوّق الخليفة لرؤيتها، ربما لما يعرفه عن الخليفة من تقدير للأنثى الحسناء، ومن ثم يركز على وصف جسدها وحسنها وغنائها، ومن هنا تتوق نفس الخليفة إليها؛ فـ"إسحاق" يصف، و"الخليفة" يتخيل صورة الموصوف؛ ولذا سيأمر الخليفة "إسحاق" قائلا: «أحضرني الجارية فأحضرته إياها فغنته... وأمر لها بخمسين ألف درهم، فربحتُ واللهِ بتلك الرَّكِبة، وأربحت.»[٣]

وإذا تجاوزنا الملاحظة السابقة إلى ملاحظة أخرى، سنجد أن "إسحاق الموصلي" يترفع عن الغناء لمن طفل عليهم، كما ترفع على الخليفة. وقد أكد ذلك في خطابه: «قلتُ: نعم، وأعرِّفكم نفسي أيضًا .. أنا إسحاق بن إبراهيم الموصلي، ووالله إني لأَتِيهُ على الخليفة، وأنتم تشتمونني... واللهِ لا نطقتُ بحرفٍ، ولا جلستُ معكم حتى تُخْرِجوا هذا المعربد المَقيت الغث، ونهضت لأَخرج؛ فَعَلِقُوا بي.»[٤]

إن "إسحاق" يترفع عليهم، ويهددهم بالخروج، كما ترفع وضاق من خدمة الخليفة؛ فضجر وخرج، ولم يجد القوم وسيلة للارتقاء إلى هذا المترفع عليهم إلا الاعتذار. لقد تصرف أحدهم مع "إسحاق" بوقاحة، وكرر وقاحته، وهنا أراد "إسحاق" أن ينتصر لكرامته؛ فيُخجل هذا الرجل، ويقلل من شأنه أمام رفاقه في المجلس، ويشترط عليهم إخراجه وطرده من المجلس حتى يبدأ في الغناء. ومن اللافت للنظر أن ذكر الرجل الذي سب "إسحاق" سيرد مرة أخرى في مجلس الخليفة؛ فيرد في الخبر نهي الخليفة لصاحب المنزل: «وقال له: لا تعاشر ذلك المعربد النذل»[٥]. فواضحٌ أن مقولة الخليفة تتساوى في وصفها المشين مع نذالة المعربد ووقاحته، بل وتحمل النهي لصاحب المنزل عن معاشرته، والنهي يحث على القطيعة النهائية للمعربد وأمثاله.

وفي خبر مخارق المغني[٦]، لعبت المرأة دورًا مهمًا. ولعل اللافت للنظر يتمثل في توظيف "مخارق" خبَرَه مع المرأة، وتطفيله من أجلها، ليعاود سرده أمام وليّ أمره؛ حيث يقتنص سمع

---

١ - التطفيل: ص١٠٩.

٢ - محمد مشبال: البلاغة والسرد. مرجع سابق. ص ص١٣٢. ١٣٣.

٣ - التطفيل: ص١١١.

٤ - نفسه: ص ص١١٠. ١١١.

٥ - نفسه: ص١١١.

٦ - نفسه: ص ص١١١. ١١٣.

"الخليفة" ليحكي له خبره. وهنا يتشابه خبر "مخارق المغني"، إلى حدٍ كبير، مع خبر "إسحاق الموصلي"؛ فالأول خرج إلى الرصافة ليتنسم فيها، مبتعدًا عن مجلس "المعتصم"، والثاني خرج إلى الصحراء ليطرد ضجره، وينفث ضيقه من خدمة "المأمون". ورغم أنهما يُطربان الخليفة ـ سواء أكان المأمون أم المعتصم ـ إلا أنهما يبحثان عن شيء يُطربهما، وقد وجداه في الأنثى.

سنلحظ، منذ الاستهلال السردي ـ في خبر "مخارق" ـ طبيعة العلاقة التي تجمع بين "مخارق" والخليفة/ المعتصم .. إنها علاقة منفعة مادية؛ فهو يُسلي ويطرّب الخليفة بغنائه، والخليفة ـ بدوره ـ يُجري على "مخارق" عطاءَهُ؛ ومن ثمَّ سيبدأ مخارق خبر تطفيله على النحو الآتي: «طَّفلت تطفيلة قامت على أمير المؤمنين المعتصم بمائة ألف درهم، فقيل له: وكيف ذاك؟»[1].

إن "مخارق" لا يجد غضاضة في التصريح بتطفيله، والمفاخَرَة به؛ فقد ربح من وراء طفلة واحدة أضعاف ما كسبه كل مغنٍّ كان في عصره، أو في حضن خلافة المعتصم؛ وبهذا المكسب الكبير يتحول التطفيل .منذ المفتتَح السردي للخبر .من سلوك مستهجن إلى سلوك مستحسن؛ لأنه مصدر ربح، وسبب تقريب من الخليفة؛ ولذا يتحفّز المستمعون/ المتلقون للخبر فيسألون المتكلم/ مخارق عن الكيفية، ومع السؤال ينفتح باب السرد.

وإذا كان الطفيلي يحتال من أجل الدخول إلى منزل ما ليدخل فيأكل، فإذا أكل وشبع انصرف، فإن الأشخاص الواردين في الأخبار ـ مصدر الدراسة ـ لم يطفلوا على المنازل أو يحتالوا ليدخلوها بغرض الطعام. وفيما يأتي يمكن إجمال بعض الملاحظات التي لفتت انتباهنا:

١ ـ **الشخصيات من الأكابر والأشراف**؛ ومن ثم فمن المحال أن يكون خرجوهم وتطفيلهم طلبًا للطعام بوصفه غاية في حد ذاته، بل إن دخولهم إلى المنازل دون دعوة من أصحابها جاء مصادفة؛ فهم يخرجون من محال إقامتهم، ويسيرون، وأثناء سيرهم يقع نظرهم على جزء من جسد أنثوي فاتن[2]، أو تصادفهم أثناء مسيرهم جارية فاتنة فتعلق بها قلوبهم[3]؛ ومن ثم يقتفون أثرها أو يسيرون خلفها، حتى تدخل منزلاً ما فيحتالون حتى يدخلوه؛ فيأكلون، ولكنهم لا ينصرفون كما يفعل الطفيليون، بل يمكثون بالمجلس؛ لأن غايتهم الحقيقية لم تكن الطعام، وما أكلهم من الطعام المقدم إلا حدثٌ عارض، وثمة هدف أساسي هو الاقتراب من هذه المرأة ومعاينتها، والظفر بها.

---

١ - التطفيل: ص ص١١١ .١١٢.

٢ - كما في خبر (إبراهيم بن المهدي). راجع كتاب التطفيل. ص١٠٢ .١٠٨.

٣ - وهذا ما حدث مع كل من (إسحاق بن إبراهيم الموصلي، مخارق المغني). راجع كتاب التطفيل. ص ص١٠٨ .١١٣.

٢ ـ تركز الأخبار على ارتباط الشخصيات بالخليفة: فهم يخرجون من دار الخلافة، ويبتعدون عنها مدة زمنية غير محددة. وتختلف حالتهم المزاجية من شخص لآخر، وذلك بحسب وصفهم لأنفسهم، كما ورد بالأخبار، على النحو الآتي:

ـ "إبراهيم بن المهدي" يحدث "الخليفة المأمون" فيصف حالته، قائلاً: «يا أمير المؤمنين، خرجت من عندك يومًا في سكك بغداد متطرِّبًا.»[١]

ـ "إسحاق بن إبراهيم الموصلي" يحدث ابنه "حماد" فيصف حالته، قائلاً: «غدوت يومًا، وأنا ضَجِرٌ من ملازمة دار الخلافة، والخدمة فيها؛ فخرجت، ورَكِبتُ بُكرةً، وعزمتُ على أن أطوفَ الصحراءَ، وأتفرَّج.»[٢]

ـ "مخارق المغني" يحدث رفاقه، واصفًا حالته وتطفيلته، فيقول: «طَّفلت تطفيلة قامت على أمير المؤمنين المعتصم بمائة ألف درهم، فقيل له: وكيف ذاك؟ قال: شربتُ مع المعتصم ليلة إلى الصبح، فلما أصبحنا قلت له: يا سيدي، إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي؛ فأخرج، فأتنسّم في الرصافة إلى وقت انتباه أمير المؤمنين.»[٣]

فمن الملحوظ أن "إبراهيم بن المهدي" خرج من دار الخلافة متطربًا. ولنقل إنه طربٌ لما ينعم به من قرب وقرابة من الخليفة، وما فيه من رفعة وارتقاء، إضافة إلى جلوسه في مجلس الخليفة، وشعوره بالطرب لما يراه من جمال أو يسمعه من غناء الجواري الحسان، كما أنه يأكل ويشرب ما يقدم إليه مما لذ وطاب، ولعل هذا ما أحدث الشعور بالطرب.

وعلى الجانب الآخر، سيتبلور الضجر في وصف "إسحاق بن إبراهيم الموصلي" لحالته. فهو يبتعد عن دار الخلافة لضجره، وهذه النفس الضجرة تحتاج إلى فسحة حتى تتمكن من إطراب الخليفة؛ ولذا خرج "إسحاق" إلى الصحراء ليطوف فيها، ويتفرج؛ فيذهب ضجره. ومن المثير للجدل أن مطرب الخليفة يشعر بالضجر، ويحتاج إلى من يُطربه، وتتحول الصحراء، في نظره، من مكان مُوحِش إلى مكان مطرب ومؤنس.

أما عن "مخارق المغني" فحالته تقترب، إلى حد ما، من حالة "إسحاق"، ولكنه لا يخرج دون إذن؛ فيستأذن الخليفة في الخروج إلى الرصافة ليتنسم. ولعل رغبته في التنسم تعكس ضيقه، وطلبه يؤكد حاجته إلى فسحة نفسية، يجدد فيها نشاطه حتى يتمكن من العودة إلى دار الخلافة ليلازم الخليفة، ويُطربه متى شاء.

---

١ - التطفيل: ص ١٠٤.

٢ - نفسه: ص ص ١٠٨. ١٠٩.

٣ - نفسه: ص ص ١١١. ١١٢.

ولقد عادت الشخصيات الرئيسة بالأخبار، وقد طربت نفوسها، وذلك لفوز الرجل بالمرأة التي طفل من أجلها، بل وغامر ليحظى بها؛ ومن ثم عاد إلى الخليفة لإخباره بطفلته وما نتج عنها من حظيانه بالأنثى.

٣ ـ **لعبت المرأة دورًا مركزيًا في الأخبار المسرودة. فهي مصدر الطرب**؛ لأنها المغنية التي تنشد بصوتها شعرًا فيطرب السامعين، وهي الحسناء الفاتنة؛ فرؤيتها مصدر لذة للناظرين، وهي الأنثى المطلوبة والمرغوبة؛ فجسدها متعة للمشتهين.

٤ ـ **على الرغم من تشابه الشخصيات في التطفيل من أجل المرأة**، فإننا نلحظ تدرج الشخصيات في وصف المرأة. ففي خبر "إبراهيم بن المهدي"، نلحظ صيانة للمرأة، وقد تبلور ذلك أثناء وصفه لها أمام الخليفة/ المأمون؛ فـ"إبراهيم" يصف للخليفة كفّاً حسَنَة رآها، ولم يصف له وجهًا فاتنًا، أو جسدًا بضًا، وربما يرجع ذلك إلى رغبة "إبراهيم" في صيانتها؛ وذلك لأنه تزوج بها، إضافة إلى كونها امرأة شريفة، لا مغنية مطربة أو جارية مملوكة. أما في خبر كل من (إسحاق الموصلي) و(مخارق المغني)، فنلحظ وصفًا دقيقًا للمرأة، ولاسيما جسدها المثير، إضافة إلى أن كلاً منهما يقدم الجارية إلى الخليفة؛ حيث قدم "إسحاق" الجارية إلى "المأمون"، وقدم "مخارق" الجارية إلى "المعتصم" للمعاينة والرؤية؛ وذلك بناء على طلب "المأمون"؛ كما في خبر "إسحاق"، أو اصطحابها والدخول على "المعتصم" بها؛ كما في خبر "مخارق"، في حين لم يجرؤ الخليفة على طلب رؤية المرأة في خبر "إبراهيم المهدي"[١]؛ لأنه يعلم أنها صارت زوجة مصونة، في حين أن المرأة لدى كل من "إسحاق"، و"مخارق" كانت هبة أو عطية؛ فصارت ملك يمين لكل منهما. ويتبلور ذلك في الخبرين؛ ففي خبر "إسحاق" نقرأ: «فلما كان بعد ثلاثين يومًا أَسْلَم إلي الجارية»[٢]. أما في خبر "مخارق" فنقرأ على لسانه: «وملكوني الجارية»[٣]. إذًا فقد انتقلت الأنثى من ملك يمين لصاحبي المنزل إلى ملكية لـ"إسحاق"، و"مخارق"، وإذا رغب الخليفة فيها ستنتقل ـ بلا شك ـ إلى ملكيته؛ فالمأمون يأمر "إسحاق" قائلاً: «أحضرني الجارية؛ فأحضرته إياها.»[٤]

---

١ - من المعروف في خبر "إبراهيم بن المهدي" أنه طفل على منزل، وقد تزوج من أخت صاحب المنزل بعدما كشف عن هويته، وعرف صاحب المنزل نسب "إبراهيم". ولقد أشهر الأخ زواج أخته من "إبراهيم" في حضور جلة جيرانه، ولكن ما يلفت الانتباه في الحوار الدائر بينهما أن صاحب المنزل يسأل إبراهيم قائلاً: (يا سيدي، أمهد لك بعض البيوت تنام مع أهلك، فأحشمني... فقلت: بل أحضر عَمَارِيَّة وأحملها إلى منزلي، فقال: ما شئت. فأحضرتُ عَمَارِيَّة فحملتها، وصرت بها إلى منزلي. فوحقك - يا أمير المؤمنين - لقد حمل إلي من الجهاز ما ضاقت به بعض بيوتنا؛ فأولدتها هذا القائم على رأس سيدي أمير المؤمنين). راجع الحوار في كتاب التطفيل ـ ص١٠٨. وهذا الحوار يؤكد فيه "إبراهيم" أن رغبته في المرأة الشريفة نتج عنها الزواج والإنجاب. أما على الجانب الآخر في خبر كل من (إسحاق الموصلي . مخارق المغني)، فلم نسمع بزواج، بل انتقلت الجاريتان من ملك يمين لرجلين إلى ملك يمين لرجلين آخرين، أو جاد صاحِبَا المنزلين بالجاريتين لكل من (إسحاق . مخارق) ليجنيا من جسديهما متعة، أو يحصلا على لذة.

٢ - التطفيل. ص١١١.

٣ - نفسه: ص١١٣.

٤ - نفسه: ص١١١.

٥ ـ الجامع بين التطفيل والاحتيال: إذا كان التطفيل بمثابة احتيال على صاحب المنزل، فإن حكي خبر التطفيل للخليفة يمثل احتيالاً عليه؛ بمعنى أن الشخصيات في الأخبار الواردة تحتال على الخليفة بالحكي. ولنا أن نتخيل العلاقة التي تجمع الخليفة بمن حوله في الأخبار .. إنها علاقة احتيال؛ فالمحيطون بالخليفة يحتالون عليه بخبر تطفيلهم، ويصرحون بذلك؛ فـ"إسحاق" يقول: «فربحتُ واللهِ بتلك الرّكبة، وأربحت.»[١] وأيضًا مخارق يقول: «طَّفلت تطفيلة قامت على أمير المؤمنين المعتصم بمائة ألف درهم.»[٢]

ومن الملحوظ أنهم في طفلتهم يستثمرون معرفتهم بالخليفة ليتقربوا إلى أصحاب المنازل، ويظفروا بما أرادوا؛ فعندما كشف "إبراهيم بن المهدي" لـ"صاحب المنزل" عن اسمه، وما له من صلة قرابة تجمعه بالخليفة المأمون، فنقرأ: «أخبرته فقام فقبَّل رأسي، وقال: يا سيدي، وأنا أعجب أن يكون هذا الأدب إلا من مثلك، وإذا أنا مع الخلافة، وأنا لا أشعر»[٣]. كما يكشف "إسحاق الموصلي" عن شخصيته قائلاً: «قلتُ: نعم، وأعرِّفكم نفسي أيضًا .. أنا إسحاق بن إبراهيم الموصلي، وواللهِ إني لأَتِيهُ على الخليفة وأنتم تشتموني... ونهضت لأَخرج؛ فَعَلِقُوا بي.»[٤] وأخيرًا يصرّح مخارق المغني باسمه قائلاً: «أنا مخارق»[٥]. ولعله مشهور بينهم بأنه مطرب الخليفة المعتصم ومغنيه. إذاً فالشخصيات تحتال فتطفل على منازل دون دعوة، ثم تستثمر معرفتها بالخليفة لتحظى بما أرادت، وأخيرًا تعود لتحتال على الخليفة بالحكي فتربح وتُربح غيرها.

٦ ـ زمن التطفيل .. زمن الغفلة: من اللافت للنظر أن خروج الشخصيات يتزامن مع غفلة الخليفة ونومه؛ فـ"إبراهيم بن المهدي" خرج من عند الخليفة/ المأمون طربًا، وهذا يعكس أنه ترك مجلس الطرب عند الصباح، وربما لينام الخليفة. و"إسحاق الموصلي" غدا مبكرًا قبل أنْ يستيقظ الخليفة/ المأمون، ويرسل في طلبه. و"مخارق" شرب مع الخليفة/ المعتصم حتى الصباح، ثم استأذن في الخروج والعودة وقت انتباه الخليفة.

إذًا فالشخصيات تخرج وقت نوم الخليفة وغفلته، وكأن هذا الزمن متفق عليه ضمنيًا فيما بينهم، فإذا تغيبوا وانتبه الخليفة إلى ذلك فطلبهم أو سأل عنهم، احتالوا عليه بالحكي وسرد الخبر.

---

١ - التطفيل: ص ص١٠٨. ١١١.

٢ - نفسه: ص ص١١١. ١١٢.

٣ - نفسه: ص١٠٧.

٤ - نفسه: ص ص ١١٠. ١١١.

٥ - نفسه: ص١١٣.

٧ ـ **وحدة الغاية .. وحدة الحيلة:** في الأخبار نلحظ أن غاية الشخصيات واحدة، وهي الأنثى، وحيلتهم أيضًا واحدة. أما عن الغاية، فقد تحدثنا عنها وحللناها، وهنا نعرض للحيلة المتشابهة في الأخبار:

ـ في خبر "إبراهيم بن المهدي": «فإني لكذلك؛ إذ أقبل رجلان نبيلان راكبان من رأس الدرب، فقال الخياط: هؤلاء منادموه، فقلتُ: ما أسماؤهما؟ وما كُنَاهُما؟ فقال: فلان وفلان، وأخبرني بكناهما. فحركتُ دابتي وداخلتهما، وقلتُ: جُعِلْتُ فِداكما قد استبطأكما أبو فلان، أعزه الله، وسايرتهما حتى أتينا إلى الباب، فأجلاني، وقدماني، فدخلتُ، ودخلا، فلما رآني معهما صاحب المنزل لم يشك أني منهما بسبيل، أو قادم قدمت عليهما من موضع.»[١]

ـ في خبر "إسحاق الموصلي": «فلم ألبث إلا يسيرًا حتى أقبل رجلان شابان جميلان، لهما هيبة تدل على قدرهما، وهما راكبان؛ فاستأذنا، فأُذِن لهما، فحملني ما قد حصل في قلبي من حب الجارية وإيثاري على حالها والتوصل إليها على أن نزلت معهما ودخلت، فظنّا أن صاحب البيت دعاني، وظن صاحب البيت أني معهما.»[٢]

ـ في خبر "مخارق المغني": «فلم ألبث أن جاء فتيان كأنهما صورتان على حمارين مصريين؛ فَأُذِنَ لهما، فدخلا، ودخلت معهما، فظن صاحب المنزل أني جئت مع صديقيه، وظن صديقاه أن صاحب المنزل دعاني.»[٣]

إن الحيلة في الأخبار الثلاثة واحدة .. إنها (الظن)؛ بمعنى أن الضيف/ المدعو يأتي أولاً، يتبعه الطفيلي، وهنا سيظن المدعو بأن الطفيلي من معارف المضيّف/ الداعي، وعندما يرى المضيف الطفيلي يسير مع المدعوين سيظن أن هذا الشخص جاء في صحبة مَنْ دعاهم، بوصفه صديقًا من أصدقائهم، أو رفيقًا من رفقائهم صادفوه في الطريق، فدعوه واصطحبوه معهم. وبذلك يقوم الطفيلي بحيلة مزدوجة؛ لأن تأثيرها سينطبع على (المدعو، الداعي)، فما يهم الطفيلي ألا يُمنع من الدخول.

(١) التطفيل: ص١٠٤.

(٢) نفسه: ص١٠٩.

(٣) نفسه: ص١١٢.

المصادر والمراجع

- إبراهيم محمود: جغرافية الملذات: الجنس في الجنة ـ رياض الريس للكتب والنشر ـ ط١ ـ يناير ١٩٩٨ .
- أحمد علواني: السرد والحجاج في أخبار الطفيليين: كتاب التطفيل للخطيب البغدادي نموذجًا" ـ مجلة فصول للنقد الأدبي ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ العددان ٨٥ / ٨٦ . ربيع / صيف ٢٠١٣.
- الخطيب البغدادي (الحافظ المؤرخ أبو بكر أحمد بن ثابت/ ت٤٦٣ هـ): التطفيل وحكايات الطفيليين وأخبارهم ونوادر كلامهم، تحقيق: عبدالله عبدالرحيم عسيلان، دار المدني، جدة، ط١، ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦ م.
- عبد الفتاح كيليطو: الحكاية والتأويل - دراسات في السرد العربي ـ دار توبقال للنشر ـ الدار البيضاء ـ المغرب ـ ١٩٨٨.
- ابن عبدربه (أحمد بن محمد بن عبد ربه): العقد الفريد، تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- محمد مشبال: البلاغة والسرد - جدل التصوير والحجاج في أخبار الجاحظ ـ منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ جامعة عبد المالك السعدي ـ تطوان ـ المغرب ـ ٢٠١٠.
- ابن منظور (جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور): لسان العرب، تحقيق: عبدالله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي ـ دار المعارف، د.ت.
- النويري (شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب /ت٧٣٣ هـ): نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: مفيد قميحة وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان، ط١، ٢٠٠٤.